

تفسير البحر المحيط

@ 317 الجنس أي : هذا الجنس يأمر بالسوء ، ويحمل على ما فيه من الشهوات انتهى .
وفيه تكثير وتحميل لفظ ما ليس فيه ، ويزيد على عادته في خطابه . ولما أحسّ الزمخشري بأشكال قول من قال : إنه من كلام يوسف قال : (فإن قلت) : كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك ؟ (قلت) : كفى بالمعنى دليلاً قائداً إلى أن يجعل من كلامه ، ونحوه قوله : قال الملاء من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ؟ وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم انتهى . وهذا ليس كما ذكر ، إذ لا يتعين في هذا التركيب أن يكون من كلام فرعون ، بل هو من كلام الملاء تقدمهم فرعون إلى هذه المقالة ، فقالوا ذلك بعض لبعض ، فيكون في قول فرعون : يريد أن يخرجكم خطاباً للملاء من فرعون ، ويكون في هذا التركيب خطاباً من بعضهم لبعض ، ولا يتنافى اجتماع المقالتين . وبالغيب يحتمل أن يكون حالاً من الفاعل أي : غائباً عنه ، أو من المفعول أي : غائباً عني ، أو ظرفاً أي بمكان الغيب . والظاهر أن إلا ما رحم ربي استثناء متصل من قوله : لأمر بالسوء ، لأنه أراد الجنس بقوله : إن النفس ، فكأنه قال : إلا النفس التي رحمها ربي فلا تأمر بالسوء ، فكون استثناء من الضمير المستكن في أمر بالسوء . ويجوز أن يكون مستثنى من مفعول أمر المحذوف إذ التقدير : لأمر بالسوء صاحبها ، إلا الذي رحمه ربي فلا تأمره بالسوء . وجوزوا أن يكون مستثنى من ظرف الزمان المفهوم عمومته من ما قبل الاستثناء ، وما ظرفية إذ التقدير : لأمر بالسوء مدة بقائها إلا وقت رحمة الله العبد وذهابه بها عن اشتها المعاصي . وجوزوا أن يكون استثناء منقطعاً ، وما مصدرية . وذكر ابن عطية أنه قول الجمهور أي : ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة . .

{ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّ كَلَامَهُ
قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى
خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْم * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ أَهْلَ مَنَهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا
نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا جُرْأُولَ الْأَخْرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ } : روي أن الرسول جاءه فقال : أجب الملك ، فخرج من السجن ودعا
لأهله اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ، ولا تغم عليهم الأخبار ، فهم أعلم الناس بالأخبار في
الواقعات . وكتب على باب السجن : هذه منازل البلوى ، وقبور الأحياء ، وشماتة الأعداء ،
وتجربة الأصدقاء ، ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ، ولبس ثياباً جدداً ، فلما دخل على

الملك قال : اللهم إني أسألك بخيرك من خيره ، وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ، ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال : ما هذا اللسان ؟ فقال : لسان آبائي ، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فكلمه بها ، فأجابه بجميعها ، فتعجب منه وقال : أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك قال : رأيت بقرات سمان فوصف لونهن وأحوالهن ، وما كان خروجهن ، ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفاً ، وقال له : من حفظك أن تجعل الطعام في الأهرام فيأتيك الخلق من النواحي يمتارون منك ، ويجتمع لك من الممكنون ما لم يجتمع لأحد قبلك . وكان يوسف قصد أولاً بثبته في السجن أن يرتقي إلى أعلى المنازل ، فكان استدعاء الملك إياه أولاً بسبب علم الرؤيا ، فلذلك قال : ائتوني به فقط ، فلما فعل يوسف ما فعل فظهرت أمانته وصبره وهمته وجوده نظره وتأنيه في عدم التسرع إليه بأول طلب عظمت منزلته عنده ، فطلبه ثانياً ومقصوده : استخلافه لنفسه . ومعنى استخلافه : أجعله خالصاً لنفسه وحاصلاً بي ، وسمى إياهم فرعون مصر ملكاً إذ هي حكاية اسم مضى حكمه وتصرفه زمنه ، فلو كان حياً لكان حكماً له إذا قيل لكافر ملك أو أمير ، ولهذا كتب النبي صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل عظيم الروم ولم يقل ملكاً ولا أميراً ، لأن ذلك حكم . والجواب مسلم وتسلموا . وأما كونه عظيمهم فتلك صفة لا تفارقه كيف ما